

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. ويسرنا أن نبدأ اليوم بتسليط الأضواء على مشكلة هامة واجهت الكنيسة المسيحية عند نشوئها. وما زالت هذه المشكلة تواجه الكنيسة المسيحية حتى يومنا هذا، وإن بصيغة أخرى. فلقد كانت المشكلة قديماً هي مدى ارتباط المؤمنين في المسيح، بالناموس الذي أنزله الله على كلمته النبي موسى.

أما المشكلة اليوم فهي: ما هو دور الأعمال في خلاص الإنسان؟ وهل على الإنسان لكي يخلص أو ينال رضا الله أن يقوم بأداء الفرائض الدينية، وممارسة بعض الطقوس المعينة؟ ولكي نعالج هذه المشكلة لا بد لنا أن نعود إلى كلمة الله المقدسة كما جاءت في الكتاب المقدس، وبالذات إلى رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية. ففي هذه الرسالة عالج الرسول بولس هذه المشكلة بكل وضوح.

كانت ولاية غلاطية تقع في وسط تركيا اليوم. وقد كتب الرسول بولس الرسالة إلى غلاطية، إما بعد أن أكمل رحلته التبشيرية الأولى في مدنها، أو بعد رحلته التبشيرية الثانية حوالي عام خمسة وخمسين ميلادية. ولقد كتب الرسول بولس هذه الرسالة، بعد أن أخذ بعض المسيحيين من أصل يهودي، يعلمون المسيحيين من غير اليهود، أن عليهم أن يعملوا بشرعية النبي موسى، وأن يتطهروا، أي عليهم أن يتهودوا أولاً لكي يخلصوا. كما أن هؤلاء المعلمين أخذوا يهاجمون الرسول بولس شخصياً، زاعمين أن معرفته لرسالة الإنجيل جاءت غير مباشرة، وليس من مصدرها الأصلي الذي هو المخلص المسيح نفسه.

فردّ الرسول بولس على هؤلاء المعلمين برسالته إلى الكنائس في غلاطية، شارحاً لهم بكل وضوح، أن الإنسان يخلص عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح فقط، وأن العمل بالشريعة اليهودية ليس شرطاً للخلاص. ودافع الرسول بولس في نفس الوقت عن سلطانه كرسول، وأنه أخذ رسالته التبشيرية من المخلص المسيح نفسه مباشرة، لا بل إن الرسل الأوائل وافقوا عليها، عندما اجتمع معهم في أورشليم.

بدأ الرسول بولس رسالته إلى غلاطية كعادته بالتعريف عن نفسه، فكتب قائلاً: "بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات." (غلاطية ١: ١) أكد الرسول بولس في بداية رسالته سلطانه كرسول مقام ومدعو لا من قبل الناس، بل من المخلص يسوع المسيح نفسه، والله الآب الذي أقامه من الأموات. وهذه حقيقة هامة يجدر بنا أن نتوقف عندها قليلاً.

فلو عدنا إلى سفر أعمال الرسل لقرأنا عن حادثة إيمان الرسول بولس وكيف أصبح مسيحيا. فلقد كان بولس واسمه شاول آنذاك، مضطهدا للمسيحيين، ويقتادهم للموت. حتى أنه ذهب إلى دمشق لكي يقضي عليهم. وأثناء ذهابه إلى دمشق أبرق حوله فجأة نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: "شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيّد. فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس." فقال شاول وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل. فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. ثم اقتاده الرجال الذين معه، وادخلوه إلى دمشق. وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب. (راجع أعمال الرسل ٩: ١-٩)

ثم ظهر الرب في رؤيا لتلميذ اسمه حنانيا. ودعاه لكي يذهب ويرى شاول، وعندما اعترض حنانيا لأنه يعرف من هو شاول وأنه مضطهد للكنيسة، أجابه الرب قائلا: "اذهب. لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأنني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي." وفعلا ذهب حنانيا وقابل شاول الذي آمن بالمسيح واعتمد، وأصبح فيما بعد الرسول بولس، الذي كرز بالمسيحية في أنحاء عديدة من الإمبراطورية الرومانية، وتأسست على يده كنائس عديدة. (راجع أعمال الرسل ٩: ١٠-٢٣) فما أكده الرسول بولس إذن في بداية رسالته إلى المؤمنين في غلاطية، أنه مدعو رسولا من الرب يسوع المسيح، والله الآب الذي أقامه من الأموات، هو صحيح مئة في المئة. لأن المسيح نفسه ظهر له ودعاه شخصيا.

وتابع الرسول بولس قائلا: "وجميع الإخوة الذين معي إلى كنائس غلاطية. نعمة لكم وسلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح. الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبيننا. الذي له المجد إلى الأبد. آمين." (غلاطية ١: ٢-٥) أرسل الرسول بولس تحياته في مقدمة رسالته، والتي اشترك فيها جميع الإخوة الذين كانوا معه. وكانت التحية الرسولية تتضمن جوهر الرسالة المسيحية، التي هي النعمة والسلام اللذان تحققا بواسطة المخلص المسيح.

أجل لقد تجلّت نعمة الله وسلامه نحو جنسنا البشري عندما جاء المخلص المسيح إلى عالمنا. المسيح الذي أنقذنا نحن البشر الخاطئة من عبودية الخطية، بموته الكفاري على الصليب. إن كل من يؤمن بعمل المسيح الكفاري من أجله يتحرر من عبودية الخطية، ويصبح من أولاد الله. ولهذا تحدث الرسول بولس هنا عن المسيح الذي أنقذنا من العالم الحاضر الشرير، حسب إرادة الله وأبيننا.

بعد هذه المقدمة انتقل الرسول بولس للحديث عن السبب الذي لأجله كتب هذه الرسالة، فقال: "إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح." (الأعداد ٦ و٧) أبدى الرسول بولس استغرابه من انتقال هؤلاء المؤمنين السريع، من إنجيل نعمة الله، إنجيل الخلاص عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح الذي بُشروا به، إلى إنجيل آخر، أو تعليم آخر. هذا التعليم الآخر الذي يريد أن يشوّه بشارة الإنجيل

المفرحة، ويحوّلها إلى قيود وفرائض. فلقد زعم بعض المسيحيين من أصل يهودي أنّ على المؤمنين من الأمم لكي يخلصوا، أن يحفظوا الشريعة اليهودية، ولا سيما فريضة الختان أو التطهير. إن بشارة الإنجيل ترتكز على أن الخلاص يحصل عليه الإنسان بالإيمان عن طريق نعمة الله. لهذا استغرب الرسول بولس كيف يسمح هؤلاء المؤمنون للبعض أن يزعمهم، بتعاليم منحرفة وباطلة.

ثم أضاف الرسول بولس قائلاً: "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما. كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما." (عدد ٨ و ٩) لقد كان الرسول بولس واثقا من صحة بشارة الإنجيل بشارة النعمة التي بشرهم بها، إلى درجة أن قال لهم: إن أتيت أنا نفسي، أو نزل ملاك من السماء، وبشركم بغير هذه البشارة فليكن ملعونا إلى الأبد. إن الرسول بولس يعلن اللعنة على ملاك ينشر إنجيلا كاذبا، حتى وإن أتى من السماء. بل ويعلن اللعنة على نفسه إن بشر بغير ما سبق أن بشر به. إن بشارة الإنجيل يجب أن لا تتغير أبدا، لأن حق الإنجيل لن يتغير أبدا.

وتابع الرسول بولس قائلاً: "أفأستعطف الآن الناس أم الله. أم أطلب أن أرضي الناس. فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبدا للمسيح." (عدد ١٠) يتساءل الرسول بولس في هذه المعركة بين رسالة الإنجيل الصحيحة والمزيفة، من هو المهم أن يرضيه؟ الناس أم الله؟ وهل يسعى لرضا الناس أم الله؟ فيجيب أنه إن كان يريد أن يرضي الناس لما كان عبدا للمسيح. والسبب لأن إرضاء الناس يعني الابتعاد عن طريق الله. وهذه حقيقة واضحة فكل من يريد أن يرضي الناس، وأن يسلك بحسب أفكارهم الخاطئة، لا يستطيع أن يأتي إلى الله، ويقبل طريق الخلاص الذي أعده له.

وأنت صديقي المستمع: من أي فريق أنت؟ هل من فريق الذين يسمعون لأفكار الناس وطرقهم البالية الفاسدة؟ أم من فريق الذين يتوقون لمعرفة طريق الله الصحيحة؟ طريق نعمة الله بالإيمان بالمخلص المسيح؟